الزمن فيه . ان نسبة طرق التعليم الى التربية كنسبة الاوضاع والقوانين الى المجتمع فهي لاتلائم الا حاجة وقتية من حاجات العقل فيجب اعتبارها جميعها وقتية فيكون من الحق حصر عقل التلميذ في بعض الاشكال التعليمية كما كان من الجور في القرن السادس رغبة ابقاء الامم على نظام القرون الوسطى وعقائدها

آثار علمية

« رثآء الامير عبد الرحمن خان »

كنا نتوقع من شعرآء العربية المجيدين في مصر والشام المباراة في رثآء فقيد الاسلام واعظم امرائه الذين عزّزه الله بهم في هذا الزمان الذي خربت فيه الممالك الاسلامية بأيدي امرائها فاذا هم لا يزالون مشغولين بمدح من لا خير فيهم عملاً بقاعدة « احسن الشعر اكذبه » التي هدمها الامام عبد القاهر الجرجاني (راجع المنار ج ٣١ م ٣) فاحتجنا الى الاقتباس من شعرآء بلاد الاعاجم فقد قرأنا في جريدة (أمير الاخبار) الهندية قصيدة لصديقنا العالم الاديب الشيخ احمد جيتيكر يرثي بها الامير عبد الرحمن ضيآء الملة والدين رحمه الله تعالى فنشرناها تنويهاً بذلك الفضل العظيم وتنبيهاً لفضلآء الادبآء الى قضآء هذا الحق لمستحقه . وهي

يبرق شملة نعيٌ يشمل الجللا[1] فزلزل السهل في الاقطار والجبلا

(١) لعل (شملة) التي اضاف اليها البرق موضع او جهة من جهات افغانستان مما لا نعرفه والجلل الامر العظيم

أجلّ اجلّ ملوك الأرض أوزعهم ... وأرصف الناس اخلاقاً فتى الأجلا
وزّه به انهدّ للاسلام والأسفى ... ركنٌ ركينٌ ونجمٌ للعلا أفلا
يا ويلتاه ضياء الدين عاد عن الـ ... ـعيون مستتراً حتى بكت ثكلا
ماذا تقول وانا فى سنين بها ... قحط الرجال فقدنا بنتةً رجلا
قرماً هماماً اريباً عازماً ندساً ... سميذعاً ليس هيّاباً ولا وكلا[1]
مهذباً شبّ فى الاخطاب مقتحماً ... مجرّباً ذلّل الاخطار مكتهلاً
لله سيف اقام الملك قائمه ... فقام هندامهُ المدوّج معتدلا
وفارسٌ سبت الاساد هيبته ... وأنزل الوعل رُعباً ايما عقلا
بالكافرستان دين الله ضاء به ... فراق استانه والكفر عنه جلا[2]
الالمعيُّ الذي تُضحي لفطنته ... ما فى النفوس من الاسرار مبتذلا
من لم يباه بملك قبل حضرته ... سرير كابل مسروراً ومتكلا
أتى كعيث بها والأرض مجدبة ... حتى اراها خلالها بالثراء ملا
كلتا يديه من الآيات معجزةٌ ... على العجائب كلٌّ منهما اشتملا
ففى يدٍ سحبٌ يحيي الأنام بها ... وفى يدٍ شعلٌ يطفي بها شعلا
من لم يزل لترقى القوم مجتهداً ... حتى غدوا يقتنون العلم والعملا
أكرم بخيلٍ له — غرٍّ يجرّ بها ... بحر الحديد يغطي موجه القللا
حامي حمى الهند كلّ الهند يشكره ... لا ينكر الفضل الا ذو قلىً غفلا

---

(١) الندس بفتح فضم او كسر الفهم الكيس والسميذع بفتح الذال المعجمة السيد الكريم والشجاع (٢) الاستان بالضم الرستاق . واستانة ناحية بخراسان قال ياقوت أظنها من نواحى بلخ . وبلخ فى حدود الافغان وخراسان من جانب افغانستان الغربى . هذا ما نراه أقرب الى فهم قوله (فراق استانه)

لولا الأمير لاعمى الهند مزرعها الـ مخضل يرعاه خرس الروسيا هملا
اذن اتتها جنود ما لها قبلٌ وكان خشية بلقيس لها مثلا
عسى الاله يرينا فى خليفته اسنى مثال فقيد احسن البدلا
ومن يكن كحبيب الله وارثه يرى الممات شباباً زدّ مقتبلا
فتى توارث مجداً عن أبيه ومن جدٍّ وكل علا كالبدر مكتملا
اشبال ليث الشرى : انا نهنئكم بقلْ وقلْ ثم قلْ من عين من فشلا
حتى نراكم كنفس وهي واحدةٌ فباتحادكم نستكثر الأملا
ثم لتكن غاية الاصلاح همتكم لم يكسب الحمد من لم يصلح الخطلا
مجدٌ بجدّ وجدّ ظلّ مجتمعاً فليتظر فرصاً وليغتنم دولا
يارب وثق عرى الاسلام واحم بهم حماه من كل جانٍ بدّد الشُّللا
واغفر لعبدك يارحمن زلته وارحمه والطف واكرم روحه نزلا
أمن أديبٍ وارّخ عام رحلته حان الامير ضياء الدين واجلا

٥٩ ٢٨٢ ٨١٢ ٩٥ ٧١

« انتقاد المقتطف وكتاب القسطاس المستقيم »

عهدنا بالمقتطف الاغر العناية بتقريظ الكتب وانتقادها لا سيما الكتب النافعة بان لايقرظ الكتاب الا بعد قراءته أو قراءة جملة صالحة منه يعرف بها موضوعه ومسلكه فيه . ومما رأيناه فيه وراء حدود الغرابة الانتقاد على كتاب « القسطاس المستقيم » لحجة الاسلام الغزالى عند تقريظه فى الجزء الحادي عشر الاخير حيث قال :

« ومما نراه فى حد الغرابة من هذا الكتاب قول مؤلفه إن سائلا

سأله عما اذا كان يزن حقيقة المعرفة بميزان الرأي والقياس أو بميزان التعليم فاجاب منتصلا من ميزان الرأي والقياس لانه ميزان الشيطان . فلا نكاد نصدق ان عالماً فاضلاً كالغزالي ينفي ميزان الرأي والقياس ويعتمد على ميزان التعليم في غير المعرفة الدينية ولذلك نظن ان في القسم الاول من الكتاب نقصاً وأنه حذف منه ما يحصر المعرفة المقصودة هنا بالمعرفة الدينية والا فاذا اريد بها سائر المعارف كالزراعة والصناعة والطب وكل العلوم والفنون فالاعتماد فيها على الرأي والقياس كالاعتماد على الحس والمشاهدة »

(المنار) لو طالع المنتقد الفاضل الكتاب لعلم انه في الدين وان السائل سأل عن المعرفة الدينية فلا حاجة الى الظن بان في القسم الاول منه نقصاً . على انه لا حاجة في الوقوف على ذلك لمطالعة الكتاب كله فان وصف السائل بانه من اهل التعليم وانه يأمر باتباع الامام المعصوم كاف في بيان أن السؤال عن حقيقة المعرفة الدينية فحسب فما بالك وقد سأل الغزاليُّ الله فيمن يزعم من أصحابه ان القياس ميزان المعرفة ان يكفي الدين شره «فانه للدين صديق جاهل وهو شر من عدوّ عاقل » نعم ان السائل الذي يذكر الغزالي مناظرته في الكتاب من اهل التعليم الباطنية القائلين بان القلب لا يطمئن في الدين الا اذا وجد في كل عصر امام معصوم يرجع اليه في الخلاف والمشكلات والامام الغزالي انكر ذلك عليه وحاجَّهُ فيه حتى ألزمه وأفحمه . فقوله في صديق الدين الجاهل بعد ماذكر : ولو رزق سعادة مذهب اهل التعليم لتعلم أوّلاً الجدال من القرآن الكريم حيث قال الله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » الخ يوقع المطلع على الكتاب في اشتباه ويوهم ان الغزالي من اهل

مذهب التعليم وانما هو خصمهم ولكن قوله « لتعلم اولاً الجدال من القرآن » ينفي ذلك الاشتباه ويذهب بهذا الوهم فان اهل التعليم لا يتعلمون الا من امامهم المعصوم ويسلمون له بكل ما يقول تسليماً . ولعله سمى مذهب نفسه مذهب التعليم ووصفه بالسعادة استمالةً لخصمه ليقبل عليه فيعرف مراده من التعليم

الغزالي يقسم الناس في هذا الكتاب الى ثلاثة اقسام (١) الخواص الذين لا يعتقدون بشيء حتى يثبت عندهم بالدليل والبرهان وهم الذين يدعون بالحكمة وهم الذين يزنون بميزانها وهو القسطاس المستقيم الذي يذكره بعد . و (٢) العوام السذج وهم الذين يدعون بالموعظة الحسنة ، والاقناعيات . و (٣) أهل الجدال والمشاغبة والمراء والعناد ولهؤلاء احكام واطوار فتارة يحتاج الى مجادلتهم ويجب ان تكون باحسن الطرق واقربها الى القبول وابعدها من المراء وتارة يسفهون ويجهلون فيطلب الاعراض عنهم لقوله تعالى « وأعرض عن الجاهلين » وتارة يعتدون على الحق بالقوة ويصدون عن سبيل الله بالسيف فتستبدل المجالدة بالمجادلة ويستدل الغزالي على هذا في أثناء الكتاب بقوله تعالى في شأن الرسل « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » يقول : الدعوة بالكتاب مجرداً انما هي للعوام وبالميزان للخواص والمقابلة بالحديد انما تكون للمُعاندين المعاندين ، الذين يمارون في البرهان ، ويعرضون عن البيان ، فتأمل مجمل مذهبه هذا واقرأ ماجاء في المقتطف الاغر بعد تلك الجملة قال :

« فاذا صح ذلك فميزان المعرفة عند اهل كل دين كتبهم التي يعتقدون

أنها منزلة من الهم وعلى هذا النحو قال الامام الغزالي : «انى اعرف واضع هذا الميزان ومعلمه ومستعمله فان واضعه هو الله تعالى ومعلمه جبريل ومستعمله الخليل ومحمد وسائر النبيين » . ومتى رسخ اعتقاد الانسان فى نفسه هذا الرسوخ سهل عليه ان يثق ثقة تامة بكل ما فى كتابه واستغنى عن كل دليل وميزان آخر » اه

(المنار) ان المنتقد الفاضل يرى قصارى مذهب الغزالى ان يسلم الانسان بكتابه الدينى تسليما مطلقا ويستغنى به عن كل دليل وميزان آخر وقد علمت مما ذكرنا عنه آنفا من التفصيل والتقسيم والتقييد خلاف ذلك فكيف لو قرأت كتابه كله وتدبرته . وانني احب ان يطالع الدكتور يعقوب افندى صرّوف هذا الكتاب كله بدقته المعهودة ويصحح ما كتب عنه فى المقتطف وما أنا بموقن انه هو الكاتب للنقد وان لم يكن احد من البشر مبرّءا من السهو والغلط . وأذكره بالفرق بين القياس فى معرفة الدين الذى ينفيه الغزالي والقياس المنطقي الذى يثبته اذ يقول لا ثقة بعلم من لا يعرف المنطق والقياس فى سائر العلوم وان كان هذا مما يحيط به علمه الواسع

(تصحيح) ذكرنا فى هامش مكتوب حافظ (ص ٥٨٩ ج ٢٥) ان محمداً بن الزيات كان وزير مروان الحمار وهو غلط سبق القلم الى نقله من شرح الديوان مع الغفلة . والصواب انه كان وزيراً للمعتصم العباسى ثم للواثق بالله ثم للمتوكل وعلى عهد هذا اتخذ التنور المشهور الذى قضى فيه ولعلنا نذكر خبره بعد

(جذيمة) كعظيمة وتقدم فى تقريظ قصة (جذيمة والزباء) ضبطه بالتصغير سهواً